الحلم الجميل

دار المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

دار المدائن للنشر والتوزيع
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

الحلم الجميل

مكثت ملياً أفكر- وأنا فى طريق عودتى من زيارة صديقة لى فى قولها وهى ترحب بى (ده احنا زارنا النبى) .

الحبيب المصطفى فى زيارة مصر:

ألحت علىّ الخواطر والأفكار . .ووجدتنى أتساءل . .؟؟ تُرى ماذا لو زارنا الرسول ﷺ بالفعل؟ وماذ عساه أن يرى؟ وماذا لو علم المسلمون بأمر هذه الزيارة؟ وكيف سيكون وقع الزيارة عليهم؟

أهى مشاعر الحب والشوق والسعادة! أم هى مشاعر الاضطراب والإستحياء والخزى والندامة . يا إلهى!! ماذا نفعل؟ الحبيب المصطفى فى زيارة مصر . .أرض الكنانة . . وسرحت بى الأحلام والآمال ، أتصور أن زيارة واحدة للحبيب

المصطفى كافية أن تفرج عنا ما نحن فيه من خزى وذلة وانكسار.

لهى قادرة - بإذن الله - على أن توحد الصف وتجمع الأمة على كلمة واحدة هى التوحيد، لهى قادرة - بإذن الله - على أن تبعث الحياة من جديد فى مجد الأمة التى تكاسلت بعد قوة وانهزمت بعد انتصار.

لهى قادرة بإذن الله - على أن تجدد للأمة الإسلامية أمر دينها فنرى جيل الأوائل وقد عاد ينادى فينا بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وخديجة وعائشة وأسماء وكل هؤلاء الأفذاذ الذين فتحوا المشارق والمغارب وضربوا لنا المثل والقدوة على مر الزمان فى الخلق الكريم والجهاد العظيم وأتصور مع هذا اختفاء الأقزام من حياتنا وتوارى أشباه الرجال خلف ستائر النسيان إلى غير رجعة.

وإذا بى وأنا على هذه الحالة من الإستغراق فى التفكير - أغرق فى سبات عميق، إنها نومة قصيرة لكنها عميقة الأثر ... يا إلهى ماذا أرى... الرسول العظيم

يزورني في منامي . . . يا الله ما أعظم كرمك . . هل أستحق هذا التكريم . . . الحبيب في منامي . . . ما أهون الدنيا عليّ ما أهون المشاكل والهموم . . كل الأحزان انتهت، كانت الزيارة برداً وسلاماً غسلت صدرى من همومه وآلامه ولكن ماذا لو كانت الزيارة حقيقية لبلادك كلها . . ماذا ستفعل؟ .

أتصور . .

أتصور أن الحال هنا تختلف . . سوف ينتاب الجميع حالة من الاضطراب . . فالكل خائف . . الكل يرتعد . . الجميع تتجسد أعماله أمامه كطائر حى يخبره بكل ما فعل، الكل يعلم أنه عاند وصابر . . واجتهد اجتهاداً شديداً فى اتباع الشيطان . . وتبدأ الحسرات . . وتنهمر الدموع أنهاراً تجرى ندماً على ما فات . . حرصاً لكسب رضى رسولنا ﷺ وتتبدل الأحوال . . . ؟!!

هلم سريعاً:

هلم سريعاً ننظف شوارعنا..وأفنية بيوتنا.. هيا ننظم أثاث منازلنا.. البعض سيترك الكثير من المقتنيات والكماليات الزائدة.. البعض سوف يغلق التلفاز عن الأغانى أو الأفلام أو المسلسلات الهابطة.. ويفتح المذياع على القرآن الكريم أو أى حديث دينى وينادى الرجل زوجته المتبرجة عليك بالحجاب الساتر.. هيا سريعاً يا أولاد..تعالوا.. من منكم يحفظ سور القرآن الكريم ربما يطلب الرسول منكم شيئاً مما تحفظوه..

الأولاد: نحن لا نحفظ شيئاً يا والدنا..

الوالد: أى شئ من المنهج الدراسى..

الأولاد: ولا حتى المنهج الدراسى..

الوالد: لماذا؟

الأولاد: لأن الدين ليس مادة نجاح ورسوب وكنا نركز على المواد العلمية فقط لضيق الوقت.

الوالد: ياإلهى ماذا أفعل فى ذلك الموقف العصيب إنه خطئى أنا لم أتابع معهم ولم أوجههم.. يا أولاد من منكم يحفظ حديثاً نبوياً شريفاً. الأولاد: فى صوت واحد لا نحفظ شيئاً يا والدنا.

الوالد: وامصيبتاه.. واحسرتاه على ما فرطت.. واندماه.

الآن سوف أذهب لجيراننا:

الآن سوف أذهب لجيراننا أطلب منهم أن يسامحونى وأن ينسوا كل ما كان بيننا من خصام.. وسوف أعود مباشرة.. وهاتى المحفظة أسد الدين المتأخر علينا من العام الماضى للبقال.. وأنت يا أستاذ محمد.. اذهب بسرعة وانزع

تلك الصورة العارية من حوائط غرفتك . .ألا تخجل من نفسك . . هيا أنزلها بسرعة وألقى بها فى سلة المهملات . . وأنت يا أم محمد غطى جسمك بسرعة هيا أسرعى .

ترى ماذا لو دخل الحبيب الحرم الجامعى:

ترى ماذا لو دخل الحبيب الحرم الجامعى . . وماذا سيكون رد فعل الطلبة والطالبات . .وكأنى أرى مجموعة من الفتيات تهرولن ما هذا الذى نرتديه . . الاسترتش والجينز نحن فعلاً الكاسيات العاريات اللاتى أخبر عنهن النبى فى حديثه هيا سريعاً نمسح هذه الأصباغ . . ياليت أمنا لم تلدنا ليتنا لم نكن شيئاً . .ويرتبكن . . كيف نتصرف هل نغطى أجسامنا . . أم شعرنا . . أم وجوهنا . . ياليت الأرض تنشق وتبتلعنا . .وكيف نمحو رائحة هذا العطر الذى يفوح من أجسادنا يا الهى . .

اللهم استرنا ولا تفضحنا.. إنا تبنا إليك:

مجموعة أخرى من الفتيات والشباب يتشاجرون ويتشاحنون.. يمزقون أوراقاً ثم يلقون بها فى وجوه بعضهم البعض إنها عقود الزواج العرفى.. ياليتنالم نهرول وراء شهواتنا ونزواتنا..ليتنا تمهلنا.. وفكرنا.. ياليتنا وعينا قوله ﷺ :« أيما امرأة تزوجت بدون وليها فزواجها باطل » الحديث.

وبسرعة أصبح البنات فى مكانة والأولاد فى مكانة..هدوء تام..لا اختلاط..ولا مزاح.. ولا كلام خارج.. أو ضحكات رنانة..سبحان الله.. الكل فى حالة انتباه لتحصيل العلم.. وانطلق خيالى مرة أخرى..إذ تصورت الحبيب ﷺ يتأمل الموظفين فى احدى الجهات الحكومية بالنقود الحرام تلقى فى سلة المهملات فقد «لعن الله الراشى والمرتشى» وتغير الروتين وتلغى من قاموسه « فوت علينا بكرة ».

الكل يعمل بجد واجتهاد:

الكل يعمل بجد واجتهاد.. وشلة الأنس نساء ورجال يلملموا سفرة الطعام المشتركة.. وتتوقف أحاديث الأزياء والمباريات ومجالس الغيبة والنميمة..إذ بالمرأة المسنة التى كانت تاتى على مدار أسبوع قد تم انجاز حاجتها..وإذ بالرؤساء فى غاية التواضع والنصح للمرؤوسين.. والمرؤوسون وقد خاصموا النفاق وعلموا أن كل شئ بقدر الله.

زيارة إحدى المدارس:

ثم تخيلته ﷺ فى زيارة إحدى المدارس.. ماهذا؟ هل أصدق ما أرى؟؟ صورة مثالية للمعلم.. المربى الفاضل.. الذى يحمل رسالة الأنبياء يحملها بأمانة وعزم وإخلاص وتربية رفيعة وجدية فى نشر العلم ثم احترام التلاميذ له والتادب معه وحرصهم على طلب العلم حقاً يكفى المعلم قول الشاعر: <كاد

المعلم أن يكون رسولاً > ويكفى التلاميذ قول نبيهم: « من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ».

الشارع المصرى يسوده الهدوء:

أما الصورة الرائعة التى أثلجت الصدور فهى صورة الشارع المصرى الذى يسوده الهدوء والسكينة فلم نسمع أصوات الأغانى الصاخبة ولا الألفاظ النابية واختفت السجائر والشيشة وتوقف الحلف الكاذب والضحكات العالية، كل يعرف طريقه يقصده فى غير عبث، وإذا بصورة التعاون والتكافل واضحة، فالرجال يغضون أبصارهم والنساء.. بل حتى الفتيات الصغيرات يسترن أجسادهم ويسرن فى حياء واحتشام وعندما ارتفع الآذان للصلاة من فوق المآذن فالجميع يلبى النداء « حى على الصلاة.. حى على الفلاح » يالها من لحظة روحانية تنخلع لها القلوب فالجموع تتدافع نحو المسجد فى حماس،

دقائق معدودة تعطلت فيها صور المعيشة لتقف القلوب أمام خالقها، تجدد إيمانها وتغسل ذنوبها ثم تعاود عملها فى نشاط وقد تعاهدت على الإستقامة والبعد عن الفحشاء والمنكر والبغض، إنها صورة رائعة للمؤمن حيث يجد لروحه حظاً يتعالى فيه على ماديات الحياة فلا تتغلب المادة على الروح بل ترفعه روحانية الصلاة فيعامل غيره بالخلق الكريم واللسان العفيف ويكفيه أنه فى دقائق معدودة يكسب رضى ربه ويتقى سؤاله يوم الحساب، فالصلاة هى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

أما من لديه متسع من الوقت فإنه يجلس فى حلقات العلم ليتأدب بأدب القرآن والسنة الشريفة ويتعرف على سيرة الرسول وصحابته الأبرار عساه يقتدى بأحدهم فيفوز بسعادة الدارين.

أمى أمى .. توقظنى من نومى:

وبينما أنا فى غمرة سعادتى ووسط هذا الخضم الهائل من الأحداث المتلاحقة سمعت نداء ابنتى الصغيرة أمى . .أمى لتوقظنى من نومى تنبهت وعدت إلى الواقع وسألت نفسى هل حقاً زارنا النبى ﷺ وهل تبدل حالنا إلى كل هذا الخير؟؟

فماذا نفعل . . إذا كنا نطمع فى شفاعته يوم الكرب الأعظم ماذا نفعل؟ . . كل الأنبياء جاثين على ركبهم يقولون: (يارب نفسى نفسى) ومحمد ﷺ ساجد تحت العرش يقول: « يارب أمتى . . يارب أمتى ». ماذا نفعل حين تعرض صحائف أعمالنا على الله وقد نصب الميزان . . ووضعت حسناتنا فى كفة، وسيئاتنا فى كفة . . وهو واقف على يمين الميزان معه بطاقة مكتوب عليها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يضعها فى كفة الحسنات لينجو من

أخذ بها . . . ماذا نفعل لنفوز بهذه الشفاعة ماذا نفعل لنسعد به وهو واقف على الصراط الذى هو أحد من السيف وأدق من الشعرة . . وهو يحجزنا حتى لا نسقط فى ظلمات جهنم ماذا نفعل لنشرب من حوض الكوثر . . نشرب من يديه الكريمتين شربة لا نظمأ بعدها أبداً . . وماذا يجب أن نفعل بصحبته فى الجنة .

حبيبى يا رسول الله لقد اشتقت إلينا . . وأحببتنا . . وتمنيت رؤيتنا ولكننا بدلنا بعدك وتركنا سنتك ولم نعى قول ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ فهل عسانا نعود من قريب نعود إلى معين رسولنا الذى لا ينضب . . ننهل منه ونتعلم ثم نطبق ونعمل بسنته ونعض عليها بالنواجذ كما قال : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ . . . . » الحديث .

هل من مشمر؟؟

شمروا فإن الأمر جد . . والموت يأتي بغتة والساعة آتية لا ريب فيها والجنة والنار حق واليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ولسوف نقف أمام الملك الجبار مالك الملك - فرادى - ليس معنا سوى ما قدمت يدانا ولن ننجو من عقابه إلا بالتقوى والعمل الصالح وما أكثره وأيسره على المشمرين . . صلاة مقبولة . صوم صحيح زكوات وصدقات وحج مبرور - خلق كريم - قلب سليم - صلة رحم - بر الوالدين - صلة الجيران - اتقان الأعمال - طاعة الأزواج - تربية الأولاد - مساعدة المحتاجين - إغاثة الملهوفين - الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . . . فماذا قدمنا؟؟ .

لا زال فى الأمر فُسحة:

لا زال في الأمر فسحة ولا زلنا في الأمنية.. فلنشمر ولنعمل ولدبنا ميراث النبى ﷺ ... فقط تبدأ من هذه اللحظة بنية صادقة وهمة عالية وسوف تجد الله من وراءك يبارك خطواتك ويشد أزرك عساك تكون ممن فاز برضوان الله والجنة حيث النعيم الخالد وحيث صحبة الأخيار ومرافقة الحبيب المصطفى فى الفردوس الأعلى، هناك فى عالم الحقيقة لا فى عالم الخيال.

وصلى اللهم على سيدنا محمد ﷺ .

* * *